الاتصالات الثقافية بين مصر واليونان
دراسة فى أنثروبولوجيا المجتمعات القديمة

الدكتور / مصطفى عمر حمادة
كلية الآداب – جامعة الإسكندرية
قسم الأنثروبولوجيا

الاتصالات الثقافية بين مصر واليونان
دراسة فى انثروبولوجيا المجتمعات القديمة

مقدمة :

برغم أن الكثير من الدراسات فى تحليل وتحديد المنطقة الثقافية ينظر إليه من خلال الواقع الإثنوجرافى لفترات معينة، فقد جرت بعض المحاولات لدراسة المفهوم بالنظر إلى العمق الزمنى. وقد أثمرت هذه الجهود عن اتجاهين رئيسيين هما :

(١) **الأول** هو ثبات نفس الأنماط الثقافية أو الصيغ الثقافية فى مناطق معينة عبر فترات طويلة، وقد أشار كروبير ضمنا فى كتابه «صيغ النمو الثقافى» سنة ١٩٤٤ إلى أحد جوانب تحليل الاستمرارية وهو يستخدم الصيغ ليطبقها على تقاليد استمرت لفترة طويلة فى حضارات العالم القديم، وبصفة خاصة بالنظر إلى مواقعها الجغرافية. وهو بذلك يعزل الاهتمامات المتغيرة وانفجارات الطاقة التى تحدث فى أوقات مختلفة على أنها ذروات زمنية داخل التيار الرئيسى للصيغ المحلية «التشكيلات أو الصيغ المكانية» Localized Configuration[1].

(٢) **والثانى** هو ثبات التقاليد الراسخة أو الطبقات التحتية التى قد يكون لها تأثيرات محدودة على اتجاه التثقيف وقد أوضح كلا من سميث (١٩٥٢) وسرفيس (١٩٥٥) فى كتاباتهما عن الساحل الشمالى الغربى

(1) Robert, W. and G. Henderson, Culture Area (In Inter, Encyc, of Soc. S., Vol. 3, p. 563).

لأمريكا الشمالية واللاتينية تأثيرات التقاليد التى تتميز بها مناطق معينة عن الأنماط المحلية للتغير الثقافى[1]. كذلك طبقت تأثيرات تلك التقاليد الراسخة ونواحى الاستمرار فيها بشكل تجريبى على أركيولوجيا جنوبى غرب الولايات المتحدة.

وبنفس الطريقة تبدو لنا ثقافة العصر البرونزى لليونان وكريت على سبيل المثال تقع هى الأخرى فى «نطاق التقليد المشترك» Co. Tradition[2]. وهذا المفهوم يعنى أنه مفهوم لثقافات متشابهة إلى حد ما ذات صلة بعضها ببعض وإن كانت متميزة بدرجة يمكن التعرف عليها وتبقى لفترات طويلة داخل منطقة ما . وتوحى كلمة «تقليد» بالثبات، وهذا يعنى الربط الثقافى الذى ينحدر من أصول مشتركة، تلك التى تبقى على اتصال كأساس لعملية التكيف الثقافى.

(٣) **أما الاتجاه الثالث** لمفهوم المنطقة الثقافية الذى يختص بالزمن أيضا ليس له صلة باستمرارية التقاليد الثقافية وهو يتضح يوما بعد يوم وخاصة فى الأطر الأركيولوجية ويكشف رسم خرائط المناطق الثقافية فى فترات مختلفة عن أقاليم وحدود تحافظ على بقائها وتعود إلى الظهور عندما تجتاح المنطقة شعوب ذات أنماط ثقافية مختلفة بشكل واضح.

فسواء أكان عاجلا أم آجلا تميل نفس الخطوط الجغرافية إلى إعادة إنشاء نفسها، ومن الأمثلة الدالة على ذلك التطابق الشديد بين تأقلم

(1) Simth, M.W., 1952, Culture Area and Culture Depth : With data from the Northwest Coast, P. 80.

(2) Robert, W. and G. Henderson, Op. Cit., P. 566.

الحضارة الأنجلو-أمريكية المعاصرة فى الولايات المتحدة والمناطق الثقافية لهنود أمريكا الشمالية[1]. وهنا نرى إحلالا لشعوب جديدة بتكنولوجيا جديدة محل السكان الأصليين بيد أن العوامل البيئية والجغرافية أعادت تأكيد ذاتها.

ويرى الباحث أن هذا يبدو كأنه يشير إلى شكل من أشكال الوحدة الجغرافية، ينتج عنه، على الرغم من انقطاع الاستمرارية الثقافية، بقاء أو إعادة ظهور المناطق والحدود فى أوقات مختلفة.

وقد شكلت تلك العمليات المشابهة التاريخ الثقافى لمنطقة البحر المتوسط والشرق الأوسط وأوربا[2].

وخلاصة القول نستنتج مما سبق عرضه أن مفهوم المنطقة الثقافية هو وسيلة لتنظيم كمية كبيرة من المعلومات الإثنوجرافية فى وحدات شاملة داخل إطار نسق تصنيفى، وهو يعتمد على عدد متزايد من القواعد أو المقررات فى عزل الوحدات فى نظام تنازلى من حيث الحجم والاعتبارات الكبرى فى التعرف على هذه المناطق.

والمناطق الفرعية هى مناطق بيئية، وأنماط للتكامل الثقافى وعلاقات نسبية بين سمات تنتشر بشكل مستقل.

وعلى الرغم من أن التعرف المبدئى قد يعتمد جزئياً على البديهية، فإن دراسات التوزيع تعمل كوسائل تحكم فعالة. وتبدو العمليات المحددة الهامة

(1) Ibid., P. 567.
(2) Ibid., P. 568.

لتكيفات ثقافية مع البيئة والتركيز الداخلى على الاحتكاكات داخل منطقة ما تسببه الأنماط الطبوغرافية الإقليمية التى تنتج عزلات ثقافية وتبقى هذه العوامل خلال الزمن وتلقى تعبيرا عنها إما فى استمرارية التقاليد الثقافية وإما فى عودة نفس المناطق أو الحدود إلى الظهور حتى إذا انقطع استمرار التاريخ الثقافى المحلى. والمفهوم بهذا بعيد عن الاستاتيكية، فهو ينظم المعلومات الثقافية فى شكل يجعلها مفيدة للتحليل المقارن ولفهم الديناميات الثقافية وعمليات التاريخ الثقافى.

ولكى تتضح أمامنا الصورة لرسم التاريخ الثقافى لمنطقة البحر المتوسط الثقافية باعتبارها تمثل منطقة ثقافية منذ القدم نتيجة للاتصالات الثقافية القديمة وكذلك الاتصال الجغرافى والتجارى وما إلى ذلك، فإن إعادة بناء تاريخ الثقافة القديمة لها يمكن أن يقوم إلى حد بعيد.

أما إعادة بناء تاريخ الثقافة القديمة، وبخاصة لتلك المجتمعات التى لا تعرف الكتابة تعتبر معقدة جدا، وذلك لانعدام السجلات المكتوبة، فالتسجيلات الكتابية لبعض الشعوب أو الجماعات المنعزلة جغرافياً وثقافياً كالتى تعيش فى مناطق الغابات الاستوائية جنوب أمريكا وغينيا الجديدة نادرة أو تكاد أن تكون كذلك. ومن هنا فإن إمكانية الحصول على المادة المتاحة لا تمكنا من أعادة بناء تاريخ الثقافة ومازلنا حتى الآن فى حاجة إلى تطوير وتنوع المصادر التى تفى بتحقيق هذا الغرض.

وبصفة عامة يمكن القول إن محاولة رسم صورة للثقافات القديمة إنما

---

(١) فاروق مصطفى إسماعيل، ١٩٨٠، الأنثروبولوجيا الثقافية، ص ١١٩.

يعتمد على مصادر ثلاثة[1].

(١) **المصدر الأركيولوجى**: الذى يقوم بتحليل المخلفات المادية لطرق حياة هذه الثقافة أو تلك.

(٢) **المصدر اللغوى**: يستهدف تحليل لغات الثقافة المتباينة فربما يكشف هذا عن نشأتهم أو أصولهم أو أوجه الشبه بينهم وبين جيرانهم الذين شاركوهم فى وقت ما ثقافتهم الأصلية.

(٣) **الإثنوجرافيا المقارنة**: هى مصدر هام للحصول على المادة التى تمكننا من مقارنة أساليب الحياة للجماعات التى نريد دراستها وغالبا ما تكشف عن المتشابهات التى تدعم إمكانية الاستعارة الثقافية.

والباحث يتفق مع هذا الرأى، حيث إن هذه المصادر الثلاثة السابق ذكرها من منطلق دراستنا لمنطقة البحر المتوسط الثقافية. فقد كان لمنطقتنا محل الدراسة اتصالات ثقافية واقتصادية مع بعض مجتمعات البحر المتوسط مثل اليونان وليبيا وكريت وقبرص وغيرها كشفت عنها التسجيلات الحفرية، والأدلة المادية على ذلك واضحة كما يتبين لنا عندما نتعرض لمنطقة غرب الدلتا فى عصور ما قبل التاريخ وعلاقتها بتلك المناطق الثقافية الأخرى داخل إطار منطقة البحر المتوسط كما سيتضح ذلك فى الفصل الثانى.

ومن هنا فإن المنطلق النظرى والمنهجى لنا فى دراسة تلك المنطقة ينبثق من هذه المصادر على اعتبار أن المصدر الأركيولوجى يعتبر مدخلا أساسيا فى تحيل بعض الجوانب الثقافية المادية والتى عن طريقها يمكن

رسم صورة عامة لطبيعة العلاقات الثقافية القوية بين تلك المناطق وما نجم عن ذلك من أساليب الاستعارة الثقافية أو الانتشار الثقافي الذى شمل أغلب تلك المناطق الثقافية. فالمصدر الأركيولوجى هام جدا وحيوى لمعرفة الأطر الثقافية المادية وما نتج عنه من تحليل المخلفات المادية لطرق حياة هذه الثقافة أو تلك.

كذلك يقوم المصدر اللغوى بدور هام فى تحليل لغات الثقافات المختلفة. ويكون الاعتماد عليه فى بيان أوجه الشبه والاختلاف بين ثقافات المنطقة عن طريق الدراسة المقارنة، فقد يكشف المصدر اللغوى عن نشأة أو أصول تلك اللغة الخاصة بمجتمع ما. أو قد يبين أوجه الشبه بينهم وبين جيرانهم الذين شاركوهم ثقافتهم الأصلية فى وقت ما. فقد كان اتصال مصر باليونان مثلا يوضح أهمية هذا المصدر اللغوى حيث شارك اليونانيون المصريين ثقافتهم واتصهروا داخل بوتقة الثقافة المصرية فى وقت ما وظهر ذلك فى اكتسابهم للغة المصرية كما تأثر المصريون ببعض الكلمات اليونانية وبعض أنماط السلوك الأخرى.

وهذا ما حدث مع ليبيا سواء أكان ذلك عن طريق الإقامة أم الزواج أم الحروب أم غير ذلك منذ العصور القديمة حتى الآن.

أما المصدر الثالث : فإن الباحث يتفق معه تماماً ويرى أنه من الأهمية بمكان حيث إن المقارنة ذات تأثير قوى فى إظهار الأهمية النظرية والمنهجية عند تحليل المادة الإثنوجرافية ويظهر ذلك من مقارنة أسلوب الحياة الاجتماعية والثقافية والتى توضح إمكانية تدعيم فكرتى الانتشار والتكيف الثقافى. فقد ذهب الانتشاريون إلى تأكيد الحقيقة القائلة «بأن انتشار

السمات الثقافية بين الثقافات المتباعدة أو القريبة يساعد على تهيئة الظروف الكفيلة بأحداث التغير الثقافي أو الانتقال من مرحلة إلى أخرى[1].

ومن هنا نجد أنهم أبرزوا أهمية الاتصال الثقافي Cultural Contact الذي يعني التفاعل بين الجماعات وبالتالي انتشار السمات الثقافية Cultural Traits من مجتمع لآخر.

وترى المدرسة البريطانية التي يتزعمها إليوت سميث Elliot Smith ووليام بيري W. Perry وريفرز W.Rivers، أن هناك مركزاً للحضارة هو مصر والتي عرفت الزراعة كما عرفت بناء الأهرام وعبادة الشمس ومنها انتقلت إلى الكثير من أنحاء العالم، فأهرامات المكسيك واليابان والسودان أو العراق إنما هي في الحقيقة تقليد للنموذج المصري[2].

وقد ذهب هؤلاء الانتشاريون إلى أن هذه الأبنية المعقدة لا يمكن اختراعها ذاتياً بواسطة هذه الشعوب، وقد أكدت هذه المدرسة أن التطور المتوازي المستقل نادر الحدوث، لأن الناس ليسوا جميعاً مبتكرين بالفطرة وأنهم يميلون للاستعارة. وقد ظهر العديد من المصطلحات الأخرى لتعلل هذه الاستعارة، ومن هذه المصطلحات التقارب أو الالتقاء الثقافي Cultural Convergence، وكذلك التوازي الثقافي Cultural Parollelism، وأخيرا التطور المتقارب للثقافات Convergence Evolution ويتضح معنى هذه المفاهيم على النحو التالي:

---

(١) فاروق مصطفى إسماعيل، ١٩٨٠: المرجع السابق، ص ١٢٢

(٢) فاروق إسماعيل، المرجع السابق، ص ١٢٢.

(١) التقارب الثقافى يعنى تطور سمات ثقافية متشابهة فى ثقافتين أو أكثر إما عن طريق الانتشار أو من خلال ما يسمى بالتوازى الثقافى، الذى يشير هو الآخر إلى سمات ثقافية متشابهة فى منطقتين جغرافيتين منفصلتين نشأتا نشأة مستقلة[١].

وقد اقتصر بعض الكتاب فى استخدامهم لهذا المصطلح عى هذه الظاهرة الأخيرة، وهذا يعنى بعبارة أخرى أن التقارب الثقافى هو عملية تغير يحدث خلالها نمو وتصور للسمات غير المتجانسة فى الثقافات الخاصة بشعوب منعزلة عن بعضها جغرافياً، بحيث تتجه هذه السمات نحو تحقيق درجة عالية نسبياً من التشابه والتماثل وذلك فى ضوء عامل الزمن.

(٢) يستخدم كل من مصطلح التقارب الثقافي والتوازى الثقافى للإشارة إلى التماثل بين ثقافات الشعوب مما يوحى بوجود أصل مشترك لهذه الثقافات[٢].

ويذهب بعض الباحثين إلى أن تشابه البيئة الطبيعية ربما يكون من العوامل الهامة فى تطور السمات الثقافية تطوراً مستقلا، وذلك إذا سلمنا بأن هذا الاستقلال أمر واقعى.

ويعارض أصحاب النظرية الانتشارية هذه الفكرة، فنجد أن روبرت لوى R.Lowie يتفق مع فرانز بواس Boas فى القول بعدم وجود التقاء كامل، ويستبدل ذلك بمصطلح آخر هو التطور المتقارب، وقد رفض

(١) محمد عاطف غيث ، ١٩٧٩، قاموس علم الاجتماع، ص ١٠٢.

(٢) محمد عاطف غيث ، المرجع السابق، ص ١٠٢.

جولدنفايزر Goldenweiser هذا المصطلح باعتبار أنه يتضمن مماثلة زائفة للتطور العضوى، ولكنه يقرر «أن كل حالة توازى تتضمن عدداً محدداً من السمات، وهذا التحديد للعدد، ولطابع السمات، مع تعدد المصادر التاريخية والسيكولوجية المحتملة يفرض بعض القيود على احتمالات النمو، ويؤدى بالضرورة إلى التقارب»(١).

والواقع أن معظم الدراسات الحديثة تدور حول المسائل التى أثارها جولدنفايزر، فيذهب هونجمان إلى أن التقارب يرتكز على فكرة الاحتمالات المحددة التى تحكم التغير فى موقف معين. ولكن تعميم هذه الفكرة ينطوى على بعض الصعوبات، إذ أن الاحتمالات المحددة قد تكون أكثر الميكانيزمات شيوعاً، ولكنها بالتأكيد ليست هذا العامل الوحيد(٢).

وهنا نجد أن المدرسة الأمريكية تؤيد فكرة أن الملامح المميزة لثقافة ما قد وجدت أولا فى مركز ثقافى جغرافى محدد ثم انتقلت إلى مناطق أخرى، ويمثل هذه المدرسة خير تمثيل كلارك فسلر Wissler وكروبير Kroeber وإذا كانت هذه المدرسة ترفض ما يذهب إليه البريطانيون وغيرهم من الانتشاريين من الزعم بعدم امكانية التصور المتوازى المستقل وأن الناس بطبيعتهم غير مبتكرين وأنهم أكثر ميلا إلى الاستعارة(٣).

---

(١) محمد عاطف غيث : المرجع السابق، ص ١٠٢.

(٢) محمد عاطف غيث : المرجع السابق، ص ١٠٢.

(٣) فاروق مصطفى إسماعيل، ١٩٨٠، الانثروبولوجيا الثقافية، ص ١٢٣.

وقد كان بواس Boas يعارض الفكرة السائدة عن وجود صيغة واحدة وثابتة للتطور الثقافي تنطبق على الماضي مثلما تنطبق على المستقبل لكل المجتمعات، وهذا لا يمنعه من أن يؤمن بإمكانية دراسة التصور الثقافي في نطاق كل ثقافة على حدة. ومن هنا كان بواس يرى ضرورة الاكتفاء في الأبحاث الأنثروبولوجية بدراسة ثقافة معينة بالذات مع تتبع انتشار سماتها وملامحها في مناطق ثقافية محددة وليس في العالم كله، وذلك تبعاً لتوفر المعلومات اليقينية المؤكدة(١).

وقد ركزت كثير من الدراسات اهتمامها على دراسة الارتباط بين أنماط محددة في البيئة الطبيعية وأنماط التكيف التكنولوجي. فعلى سبيل المثال نجد أن Driver قام بتقسيم الجماعات الهندية في أمريكا الشمالية إلى سبع عشرة منطقة ثقافية فرعية تمتد من المنطقة القطبية الشمالية إلى بنما. وكذلك دراسة هيرسكوفتش التي اتخذت مدخلا مشابهاً لتصنيف المناطق الثقافية في أفريقيا(٢).

لذلك تقوم الأيكولوجيا بدور هام في إظهار العلاقة بين الإنسان وبيئته سواء كان ذلك في الماضي أو الحاضر، وهذه الأهمية إنما ترجع إلى العوامل المرتبطة بالبيئة التي تتحكم بدورها في حياة الأفراد ومعيشتهم، بحيث نرى أن البيئة ذات تأثير قوى وخاصة في النواحي الفيزيقية والاقتصادية والاجتماعية وأيضا الثقافية.

---

(١) أحمد أبو زيد، ١٩٧٥، البناء الاجتماعي، مدخل لدراسة المجتمع، ج١، المفهومات، ص ٢١٤-٢١٥

(٢) فاروق إسماعيل ، ١٩٨٠، المرجع قبل السابق، ص ١٢٦.

وهذا التأثير المتبادل بين الإنسان وبيئته يحدد أنماطاً معيشية مرتبطة بالظروف الأيكولوجية الخاصة بكل منطقة عى حدة، وإذا كانت الأيكولوجيا لها هذا التأثير الهام على الجوانب المتعددة من حياة أفراد المجتمع فإنه يكون لزاماً على الباحث فى هذا المجال أن يوضح الأهمية الأيكولوجية لمنطقة بحثه والعوامل المتحكمة فى ذلك، وكذلك الدور الذى تؤديه الأيكولوجيا فى حياة هذا المجتمع.

ومن هنا نجد أنه من الأهمية بمكان أن يكون لموضوع الأيكولوجيا غرضاً يسعى الباحث للوصول إليه سواء عن طريق الوصف أو التحليل.

وعلى ذلك فإننا فى دراستنا لموضوع مناطق البحر المتوسط الثقافية سوف نتعرض لمفهوم تلك المناطق أيكولوجيا وتاريخيا. بمعنى أننا سنوضح أهمية الناحية الأيكولوجية فى دراساتنا للمنطقة الثقافية مجال البحث، وستكون دراستنا من الناحية التاريخية أى أننا سنقوم بإظهار الناحية التاريخية لمنطقة غرب الدلتا الثقافية فى عصور ما قبل التاريخ والعصر التاريخى وسيكون اعتمادنا فى ذلك على المنهج التاريخى وتحليل بعض نتائج الحفائر التى قام بها العلماء وكذلك التى حصل عليها الباحث من منطقة تفتيش آثار غرب الدلتا بالإسكندرية[1].

وقد قام الباحث بتحليلها تحليلا أثنروبولوجيا. كذلك فإن دراسة منطقة غرب الدلتا الثقافية دراسة تعتمد على النسق الأيكولوجى الحالى للمنطقة

(١) تقارير الحفائر التى اعتمد الباحث عليها وقام بتحليلها استعان بها من منطقة تفتيش آثار غرب الدلتا، والتى مقرها ١٣ شارع الشهداء محطة الرمل بالإسكندرية، وكذلك بعض الخرائط المصورة ومواقع مناطق الأكوام والتلال الأثرية بمنطقة غرب الدلتا.

ومقارنتها لمعرفة العوامل البيئية التى تحدد معنى ومفهوم منطقة غرب الدلتا الثقافية ومن هنا كان لزاماً على الباحث أن يوضح أهمية منطقة غرب الدلتا أيكولوجيا وتاريخيا.

وقبل دراسة دور منطقة غرب الدلتا الثقافى فى إقليم البحر المتوسط ينبغى الإشارة إلى أن هذا الدور قد تدرج فى إطار تحقيق الاتصالات الثقافية ابتداء من عصور ما قبل التاريخ وخلال العصر الفرعونى وما تبعه من عصور تاريخية وبخاصة فى العصرين البطلمى والرومانى ثم بعد ذلك خلال المراحل الإسلامية والحديثة. ويلاحظ أن هذا الدور الثقافى لمنطقة غرب الدلتا قد تضمن العديد من الجوانب وبصفة خاصة الجانب البشرى والاقتصادى وما تبعه من جوانب حضارية وأخرى سياسية. ويمكن للباحث متابعة هذا الدور من خلال الأدلة الأثرية منذ عصور ما قبل التاريخ والتى توضح أهمية هذا الدور فى رسم صور النشاط الثقافى بصفة عامة. وقد شمل هذا النشاط الثقافى مناطق مختلفة فى شرق البحر المتوسط والشمال الأفريقى وأيضا بلاد اليونان.

وهذا ما يمكن للباحث متابعته من خلال الأدلة الأثرية للوقوف على هذا الدور فى كل من النشاط البشرى والمجالات الأخرى الاقتصادية والحضارية، هذا من ناحية الدراسة التاريخية، وقبل دراسة هذا الموضوع تاريخيا تنبغى الإشارة أولا إلى منطقة غرب الدلتا أيكولوجيا ثم نتبعه بدراسة منطقة غرب الدلتا فى عصور ما قبل التاريخ ثم دراسة علاقة مصر باليونان ثم علاقة الفراعنة بأقاليم البحر المتوسط وأخيراً نوضح الاتصالات الثقافية بين مصر وغيرها (اليونان) فى عصور ما قبل التاريخ.

أولا : منطقة غرب الدلتا ايكولوجياً :

تقع المنطقة محل الدراسة إلى الغرب من فرع رشيد، يحدها ساحل البحر المتوسط من الشمال كما تحدها الصحراء الليبية من الغرب والجنوب ولهذا كان مناخها متأثراً بالبحر والصحراء معاً[١].

ومن هنا نجد أن أقل الشهور حرارة هو شهر يناير إذ يبلغ معدل حرارته فى الإسكندرية حوالى ١٢,٧م ويبلغ فى رشيد ١٥,٢م ويبلغ فى دمنهور ١٨,٥٦م أما إدفينا فتبلغ ١١,٦م وبعد ذلك تأخذ درجة الحرارة فى الارتفاع التدريجى ويكون هذا التدريج بطيئا فى شهر فبراير ثم يسرع فى شهر مارس وما بعده حتى تصل درجة الحرارة حدها الأقصى فى شهر أغسطس. ومن هنا نخرج بالنتيجة التالية : «أن انحراف متوسط الحرارة عن معدلها لأى شهر فى أى منطقة من غربى الدلتا يضبطه انحراف متوسط حرارة البحر المتوسط عن معدلها الفصلى»[٢]. وعموماً فإن أعلى درجات الحرارة التى سجلت فى منطقة غربى الدلتا ٤٣,٨م فى الإسكندرية و ٤٦م فى دمنهور وقد حدث ذلك فى يوم ١٠ مايو ١٩٤١ أثناء مرور انخفاض ضحل على الدلتا أدى إلى ارتفاع درجة الحرارة حوالى ١٤م فى خلال ساعات معدودة ثم انخفضت بنفس السرعة بعد مرور الانخفاض[٣].

وتتعرض منطقة غربى الدلتا كغيرها من جهات مصر الشمالية لتأثير الانخفاضات الجوية التي تمر بالبحر المتوسط الآتية من الغرب فتؤثر فى

(١) محمد محمد الصياد، ١٩٥٥، موقع ومناخ غرب الدلتا ، مجلة كلية الآداب، القاهرة، ص ٥١.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٢.

(٣) المرجع السابق، ص ٥٩.

طقس الجهات التى تمر بها فى جنوب أوربا وشمال أفريقيا. ومن هنا يظهر أن منطقة غربي الدلتا تتعرض فى فصل الشتاء والربيع للانخفاضات الآتية من الغرب مارة بالبحر المتوسط والصحراء أحيانا.

وخلاصة القول أن منطقة غربى الدلتا تتأثر بموقعها من البحر والصحراء وذلك يبدو واضحا فى درجات الحرارة بحيث نجد أن انحراف متوسطها عن المعدل الشهرى يرتبط بانحراف متوسط درجة حرارة البحر المتوسط عن معدلها الصيفى. ومما لا شك فيه أن العوامل الأيكولوجية لها أكبر الأثر فى شكل وطبيعة الحياة الاجتماعية وأيضا الثقافية، فهناك علاقة قوية بين العوامل البيئية ونمط الحياة فى تلك المجتمعات. فالمناطق الثقافية ذات الوحدة الأيكولوجية - كما هو الحال فى منطقة البحر المتوسط الثقافية- تكاد أن تتشابه فى بعض الأنماط المجتمعية وكذلك فى بعض السمات الثقافية نتيجة تشابه المناخ والموقع وعوامل الاتصال الثقافى الأخرى التى قد تحدث فى وقت من الأوقات بين تلك المجتمعات.

وهنا نجد كروبير A.L.Kroeber يؤكد تلك العلاقة الوثيقة الصلة بين العوامل البيئية وطريقة الحياة فى تلك المجتمعات، بحيث يقول «إنه من الصعوبة بمكان فهم أى ثقافة من الثقافات البدائية دون الإشارة إلى العوامل غير الثقافية، وهو يقصد بذلك تلك العوامل البيئية التى ترتبط بها وتتحدد من خلالها»[1]. وكثيرا ما ترددت مثل هذه الأفكار فى الكتابات

(1) A. L. Kroeber, 1939, Cultural and Natural Areas of Native North America, P. 242.

الأنثروبولوجية المبكرة، باعتبارها محاولة لاستخدام البيئة فى تفسير الظواهر الثقافية، وأيضا لتطبيق المدخل الأيكولوجى فى مجال الأنثروبولوجيا وبصفة خاصة عند البحث عن علاقة المتغيرات الثقافية بالمتغيرات البيئية.

وعلى ذلك فإن وحدة البحث فى الدراسات الأنثروبولوجية هى دراسة عملية الحياة الاجتماعية فى منطقة إقليمية بيئية محددة وفى فترة زمنية محددة. فعلى الرغم من التنوع والتغاير الذى يميز الأحداث الاجتماعية فى تلك المنطقة، فإننا نستطيع أن نصل إلى تحديد ملامحها أو سماتها العامة، وهذه العملية التجريدية تنتهى بنا إلى تحديد صورة تلك الحياة(١).

وقد ذهب سايك R.U.Sayce فى مقاله الذى يحمل عنوان «الدراسة الأيكولوجية للثقافة» Ecological Study of Culture (١٩٣٨)، إلى أنه يتعين على الأنثروبولوجيين أن يعطو مزيدا من الاهتمام للجوانب الأيكولوجية فى الثقافة. وقد تبلور هذا المفهوم عند جوليان ستيوارد J.H. Steward فى مقاله الذى نشره عام ١٩٥٥ بعنوان «مفهوم الأيكولوجيا الثقافية ومنهجها» والذى قدم فيه أول محاولة متكاملة لفهم التفاعل بين البيئة والثقافة فى ضوء علاقة سببية واضحة ومحددة ودون الرجوع لحتمية جغرافية متطرفة(٢).

---

(١) محمد عبده محجوب، ١٩٧٧، مقدمة فى الاتجاه السوسيوأنثروبولوجى، ص ٢٣.

(٢) السيد عبد العاطى السيد، ١٩٨١، الأيكولوجيا الاجتماعية، مدخل لدراسة الإنسان والبيئة والمجتمع، ص ١٤٠.

وقد تبلور المدخل الأيكولوجي في ذلك التأكيد الشائع عند علماء الانثروبولوجيا في أن العوامل المناخية والحيوية وتلك التي ترتبط بالأرض والتربة كلها عوامل مفيدة للإنسان في حدود قدرته على استغلالها. لذلك أصبحت عوامل أخرى مثل التكنولوجيا، ونمط الإنتاج، والأجهزة، وغيرها من مظاهر الثقافة المادية من أهم ما يعنى به الباحث في الأيكولوجيا الثقافية[1].

وبذلك نجد أن الأيكولوجيا الثقافية قد وصفت بأنها مظهر من مظاهر المادية الثقافية، خاصة وأن أصحاب هذا المدخل يحاولون جهدهم لتوحيد الظروف المادية للحياة السوسيرثقافية في ضوء علاقات الارتباط بين عمليات الإنتاج والموطن أو البيئة ليضفون على المادية الثقافية طابعاً أيكولوجياً[2].

وسوف تحاول هذه الدراسة الاهتمام بتلك الجوانب الأيكولوجية – سواء المادية أو اللامادية – وبخاصة عند مقارنة منطقة غربي الدلتا محل الدراسة ببعض المناطق الثقافية الأخرى والتي تدخل معها ضمن المنطقة الثقافية الفرعية لحوض البحر الأبيض وذلك لأهمية الجانب الأيكولوجي في دراسة الأنماط المجتمعية وأيضا العمليات الثقافية.

وكذلك يتوقف نظام الضغط والرياح على نظام الانخفاضات الجوية التي تغزو مصر من الغرب في جميع فصول السنة تقريباً ما عدا فصل الصيف، فهي أحيانا تمر بالبحر وأحيانا أخرى بالصحراء. وينتقل الباحث إلى محاولة دراسة حياة الإنسان خلال عصور ما قبل التاريخ. داخل منطقة

---

(١) المرجع السابق، ص ١٤٥.

(٢) المرجع السابق، ص ١٤٥.

البحر المتوسط.

وعلى ذلك فالبحث فى عصور ما قبل التاريخ يعطى بعدا أساسيا للدراسات الانثروبولوجية التى تأخذ بالمنهج التاريخى، وبخاصة فى دراسة المجتمعات ذات النتاج الحضارى المتميز لذلك تتبعها مراحل تطورية لاحقة، وهناك نجد أن تايلور Tylor (١٨٦٥) يذهب بالقول إلى «أن الانثروبولوجيا تعتبر دراسة تاريخية تهتم بدراسة تاريخ الثقافة البشرية منذ عصور ما قبل التاريخ وحتى اليوم بحيث لا يمكننا فهم تاريخ الثقافة العامة أو الخاصة فى أى مجتمع دون النظر إلى الثقافة باعتبار أنها عملية تاريخية ذات طبيعة متطورة ومستمرة[١].

ولما كانت الأركيولوجيا تعتبر دراسة للثقافات الإنسانية فى الماضى، فإن الوقوف على مناهج هذه الدراسة وإجراءاتها إنما يدعم الدراسات الأنثروبولوجيا التى تتناول الثقافة الحالية، بل وتكمل جانباً هاماً من جوانب دراسة الإنسان لا تستطيع الأنثروبولوجيا تناوله، وهو البحث فى الثقافة المندثرة وتتبع تغيرها وتطورها على مدى زمنى طويل[٢].

ولما كنا بصدد تناول الثقافة الحالية لمنطقة غربى الدلتا، لما كان لها من صلات ثقافية وغيرها بكل من اليونان، وكريت، وغيرها، فإن اعتمادنا على المنهج الأركيولوجى يغطى لنا هذا الجانب الهام فى دراسة هذه الثقافة حتى نقف على تتبع تطورها وتغيرها عبر الأزمنة الطويلة وذلك عن طريق جمع

(1) Bidney, D., 1953, Theoritical Anthropology, pp. 138 - 184.

(٢) نادية أحمد محمد : ١٩٨٣، مناهج واجراءات الأركيولوجى وعلاقتها بفروع الأنثروبولوجيا، رسالة ماجستير غير منشورة، ص ١٨.

المعلومات وتصنيفها ومقارنة بعض جوانب الثقافة فى تلك المناطق التى تدخل فى إطار منطقة البحر الأبيض المتوسط الثقافية.

وقد برز هنا دور البحث الأركيولوجى باعتباره مصدراً رئيسياً يمدنا بمعلومات عن ثقافات الإنسان فى الماضى وذلك من خلال مناهج البحث الأنثروبولوجى من مجرد تجميع للمعلومات وتصنيفها فى إطار المنهج الوصفى إلى ظهور المنهج المقارن والذى تتبعه الدراسة العلمية المنهجية للنظم الاجتماعية والتى استلزمت ملاحظة الظواهر فى الحاضر وجمع معلومات عنها فى الماضى إما عن طريق الوثائق المكتوبة، أو باستخدام المادة الأثرية التى تعتبر دليلا يعكس ماضى الإنسان وهى مادة الأركيولوجيا التى تقوم بإجراء أبحاث حقلية مستخدمة أساليب تقنية لاكتشاف البراهين المتعلقة بوجود الإنسان ونشاطه فى الماضى(١).

وقد كان هناك اهتمام كبير من جانب الفراعنة بمراكز الحضارة التى بدأت تظهر فى الأفق بمنطقة شمال البحر المتوسط.

ومع أن هذا الاهتمام كان قليلا إلا أنه منذ العصر الصاوى بدأت أهمية منطقة البحر المتوسط تزداد حتى أصبحت هى المحور الأساسى لسياسة مصر الخارجية بعد ذلك(٢).

وأثناء العصر الصاوى بدأت الظروف المحيطة بمصر تتغير فتقدمت

---

(١) أحمد الخشاب، ١٩٧٠، دراسات أنثروبولوجية، ص ص ٢٢٠ – ٢٣٠.

(٢) أدولف إرمان، هرمان رانكة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر، ١٩٥٠، مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة، ص ص ٥٧١ – ٥٩٧.

حضارة الإغريق وبذلك أصبحت منطقة بحر إيجة أهم مراكز الحضارة فى العالم القديم وزادت أهمية هذا المركز بعد أن أنشأ الإسكندر الأكبر إمبراطورية ضمت كل مراكز الحضارة القديمة، وقد انقسمت هذه الإمبراطورية بين قادته بعد موته وأصبحت بذلك مصر من نصيب بطليموس والذى أطلق على فترة حكمه اسم العصر البطلمى وهى تمتد من ٣٢٣ ق.م. حتى ٣٠ ق.م. وأثناء هذه الفترة أصبحت منطقة البحر المتوسط المجال الرئيسى لسياسة مصر الخارجية[١].

ثانيا : علاقة الفراعنة بأقاليم البحر المتوسط :

انحصر اهتمام الفراعنة بأقاليم البحر المتوسط فى منطقتين أهمهما وأقدمهما :

(أ) منطقة شرق البحر المتوسط .

(ب) منطقة شمال البحر المتوسط.

ويشمل إقليم شرق البحر المتوسط منطقتى سوريا وفلسطين إلى جانب عدد كبير من الأسيويين الذين كانوا يدخلون مصر كرقيق. وهنا نجد أن التجارة قد ازدهرت ونشطت حركة المواصلات على الحدود القديمة لمصر وبذلك أصبح لمدخل مصر الشمالى الشرقى أهمية تجارية وعسكرية بصفة خاصة وكان هذا نتيجة للحملات التى قام بها ملوك الأسرة الثامنة عشر وانتشر بذلك العمران وأصبح إقليم شرق الدلتا إقليما حيوياً نمت فيه المدن

(١) ممدوح درويش ، ١٩٨٣، الموانى المصرية والنشاط التجارى فى عصر البطالمة رسالة ماجستير غير منشورة، ص ٣.

وازدهرت وانتقلت إليه العاصمة فى بعض الأوقات[1].

أما عن علاقة الفراعنة بمنطقة شمال البحر المتوسط وسكانها الذين كانوا يطلق عليهم «الكافيتو» فإن الأدلة الأثرية تشير إلى قيام هذه العلاقة وخاصة مع جزيرتى قبرص وكريت، وقد عثر على العديد من الأوانى التى تخص منطقة شمال البحر المتوسط فى مقابر وأطلال مدن الدولة الحديثة.

وتشير المناظر الموجودة على جدران مقابر الأسرة الثامنة عشر إلى الاتصال بين مصر وأقاليم شمال البحر المتوسط. فهناك منظر يصور الكافيتو وهم يجلبون الهدايا فى مقبرة وزير الملكة حتشبسوت، سنموت Senmout وفى مقبرة تحتمس الثالث أيضا «رخمارع» مناظر تشير إلى سكان الجزر ومنتجاتهم الصناعية بصورة واضحة. وقد كانت الأوانى التى يجلبونها ذات مقابض من الفضة والذهب وعليها رسوم حلزونية[2].

ثالثا : علاقة مصر باليونان :

لقد كانت اليونان على علاقة وثيقة الصلة بمصر منذ العصور المبكرة وانطلق المغامرون اليونانيون من أيونيا وبلاد اليونان إلى مصر وكانوا يعملون كجنود مرتزقة.

وتم تأسيس نقراطيس لتكون مقرا للجالية اليونانية فى العصر

---

(١) المرجع السابق، ص ١٧.

(٢) أولف أرمان، هرمان رنكة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر، مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة، ص ٥٩٤ – ٥٩٥.

الصاوى، وفى عصر الأسرة السادسة والعشرين دخل اليونانيون مصر حتى يمكنوا هذه الأسرة من اعتلاء عشر مصر وكان ذلك فى عهد أبسماتيك الأول[1].

وعندما تحولت مصر إلى ولاية فارسية أثناء حكم الأسرة السابعة والعشرين سمح المصريون لكثير من اليونانيين بدخول مصر.

وقد حاول الفرس بكل جهودهم ربط مصر ببقية إمبراطوريتهم فأعادوا حفر القناة التى تربط البحر الأحمر بالنيل ولكنهم احتفظوا بنقراطيس مفتوحة أمام التجار اليونانيين الذين جاءوا من أثينا.

وقد كان هناك علاقات تجارية وثيقة مع اليونان، وهناك العديد من قطع العملة عثر عليها فى مصر ترجع إلى القرن الخامس والرابع ق.م. أثناء حكم الفرس لمصر وعثر على مجموعة منها من منطقة بنى حسن[2].

ومما يدل على زيادة العلاقة بين مصر واليونان ونفوذ الأثينين فى أواخر القرن الخامس وبداية القرن الرابع هو العثور على كثير من الأوانى من الفخار الأثينى ذى اللمعة السوداء وكذلك وجود عملة أثينية فى نقراطيس.

---

(1) Pertie, W., M., Flinders, 1888, Naukraties : The Memory of the Egypt explaration Fund, Part II, p. 4.

(٢) ممدوح درويش، ١٩٨٣، الموانى المصرية والنشاط التجارى فى عصر البطالمة، رسالة ماجستير غير منشورة، ص ٨.

وخلال القرن الرابع وبداية القرن الثالث أصبحت مصر سوقاً لبلاد اليونان حيث كان ينتشر فى مصر كميات كبيرة من المنتجات اليونانية منها النبيذ اليونانى وزيت الزيتون وكان يوزع فى مصر أكثر مما يوزع فى سوريا وفى فينيقيا وفلسطين[1]، وقد كانت الإسكندرية كأحد مناطق غربى الدلتا مثلها كمثل نقراطيس خلال القرن الرابع وبداية القرن الثالث من الأسواق الهامة للفخار الأثينى وكانت العلاقات التجارية بين أثينا والإسكندرية علاقات نشطة.

وكانت مصر تصدر الحبوب إلى اليونان وبصفة خاصة القمح الذي تزايد عليه الطلب فى اليونان فى ذلك الوقت .

ومن المعروف أن مصر كانت تحصل مقابل صادراتها لليونان على الفضة التي كانت تحتاج إليها لسك العملة فى ذلك الوقت[2].

خامسا : منطقة غربى الدلتا فى عصور ما قبل التاريخ :

إن الدلتا باعتبارها مصدراً هاماً للآثار المصرية تكاد تكون مهملة حتى بالنسبة للزائر العادى لمصر بحيث ينظر إليها على أنها مقدمة غير هامة، في حين أن مصر الحقيقية المتميزة تبدأ من أول نظرة للأهرام بالأفق الغربى. لكن سبب هذه الإهمال النسبى لا يرجع إلى خلو الدلتا من الآثار الهامة فإن بعض مناطق الدلتا تعتبر من أقدم وأشهر المناطق فى تاريخ مصر.

---

(1) Pertrie , W. M. Flinders 1888, Naukraties, The Memory of the Egypt Explaration Fund., Part, I, p. 14.

(٢) المرجع قبل السابق، ص ٥١.

ذلك أن «بوتو» أولا و«سايس» بعد ذلك كلاهما يقع فى الدلتا وكانت هاتان المنطقتان مقر أقدم فروع الحكم المبهمين فى عصر ما قبل الأسرات.

وبذلك نجد أن لقب «رجل النحلة» أو «الدبور» فى بوتو وسايس أصبحا أخيراً جزءا مكملا من لقب الفرعون المصرى باعتباره النصف الآخر من لقب «نسوت بيتى»[1] الذى يسبق اسم كل ملك مصرى[2].

بينما أصبح الصل «الكوبرا» رمز الإله «بوتو» هو الرمز الملكى فى كل تاريخ مصر.

وعندما قارب تاريخ الأسرات على النهاية نجد أن مناطق الدلتا التى فقدت أهميتها فى الدولتين القديمة والوسطى تنهض مرة أخرى وتعود «تانيس» و«بوبسطة» و«سايس» إلى عظمتها ثانية فى عهد الفراعنة المتأخرين. وبدخول المهاجرين اليونانيين فى الأسرة السادسة والعشرين أصبحت مواقع مثل «نقراطيس» و«تل دفنة» فى الدرجة الأولى من الأهمية.

وبالرغم من هذه الحقائق فقد ظلت الدلتا ومواقعها الهامة لا تثير اهتمام أية طائفة غير الأثريين بوجه عام. وبذلك نجد الطبقات المصرية القديمة قد غمرت تحت طبقات متتالية من البقايا اليونانية والرومانية إلى عمق يصل عدة أمتار وذلك بسبب تخريب الحروب لمواقع الدلتا أكثر من غيرها من مناطق مصر.

---

(١) نسوت بيتى، معناها الحرفى صاحب النبات سوت، ورجل النحلة تعنى ملك الوجهين القبلى والبحرى.

(2) Baikie, J., 1932, Egyptian Antiquities in the Nile Valley , PP. 30-33

لذا يذكر لنا السير «فليندرز بترى» Flinders Petrie [1]. أن مجساته عندما كان يقوم بالتنقيب فى «تانيس» كانت تنفذ إلى عمق تسعة أمتار فى طبقات يونانية ورومانية دون أن تصل إلى مستويات عصر الرعامسة أو الهكسوس التى كان يبحث عنها.

وأخيراً فإن الدلتا لا تقدم لنا آثاراً مكشوفة فوق مستوى الأرض مثل الآثار المعروفة فى مصر العليا، وإن كان هناك مخلفات لا تزال قائمة فوق مستوى الأرض فى الدلتا فإنها كانت مغمورة تحت أكوام من الرديم تجعل تخليصها أمراً صعبا يحتاج إلى الكثير من النفقات والعمل الشاق المتواصل[2].

ويرى الباحث أنه بدون معرفة الدور الذى أدته الدلتا فى تايخ مصر القديم فإن نظرتنا إلى ماضى مصر تصبح ناقصة ومن الضرورى أن نذكر ما يجب رؤيته فيهما كبرهان على الماضي العظيم لهذه المراكز القديمة للحكم المصرى وما كان لها من دور فى إنشاء المراكز الثقافية التى على أساسها نعتبر أن منطقة غربى الدلتا بناء على ما تقدم تمثل منطقة ثقافية فرعية داخل نطاق منطقة البحر المتوسط الثقافية، وما كان لهذه المنطقة بالذات من اتصال حضارى كشفت عنه الآثار القديمة من فرعونية ويونانية ورومانية وغيرها وكلها تدل على حجم تلك الاتصالات الحضارية بين هذه المنطقة

---

(1) Petrie, W., Flinders; 1888, Naukraties, The Memory of the Egypt Explaration, Fund, Part, I., P. 24.

(2) Op. Cit., P. 35.

وغيرها من مناطق حوض البحر المتوسط على أساس أن هذه المنطقة كما يتضح من تاريخ السجل الحفرى ذات ثقافة وحضارة متصلة أدت كل منطقة فيها دوراً حضارياً منذ أقدم العصور وحتى وقت قريب فقد كانت مركزاً للإشعاع الفكرى والروحى معاً وبالتالى فإن الأحداث التاريخية السابقة تعطينا فكرة واضحة عن سير الركب الحضارى الذى عاشته هذه المنطقة حيث إنها كونت منذ القدم منطقة ثقافية داخل إطار منطقة البحر المتوسط الثقافية والتى ظهرت بعد ذلك فى النظريات الأنثروبولوجية عند كلارك فيسلر C. Wissler وبواس Boas وجوليان بيبت ريفرز Julian Pitt Rivers ودايفيز J.Davis وهذا دليل على أن هذه المنطقة مترابطة ثقافياً منذ القدم.

ونأخذ مدينة الإسكندرية مثالا على مناطق غربى الدلتا وهى ليس بها غير القليل مما تقدمه من آثار مصرية أصيلة، فالحقيقة أن العنصر الأساسى فى سكان الإسكندرية كان يونانياً على الرغم من أنه كانت هناك طبقة مصرية منذ البدء، كما كانت هناك فى عصر متأخر جالية يهودية كبيرة كثيرة الشغب[1].

وفى منطقة كوم الشقافة التى تقع إلى الجنوب الغربى من الإسكندرية بالقرب من «عامود بومباى» يوجد على المنحدر الجنوبى للتل – والذى يستغل حاليا كمحجر – الكاتاكوم[2]. الكاتاكوم الكبير المنحوت فى الصخر الذى

---

(1) Baikie, J. 1932, Egyptian Antiquities in the Nile Valley, p. 36.

(٢) الكاتاكوم كلمة لاتينية الأصل تعنى أو يقصد بها مكان للدفن فى باطن الأرض.

أصبح منذ كشفه عام ١٩٠٠ أحد معالم الإسكندرية الرئيسية وهذا المدفن الذى يرجح أنه من القرن الثانى الميلادى يعتبر مثلا واضحا لامتزاج الأسلوبين المصرى واليونانى.

كما يعتبر الكاتاكوم أيضا نموذجا للفن فى مصر اليونانية الرومانية كذلك فهو دليل على الاختلاط والتأثيرات الثقافية بين مصر واليونان[١].

وفى تقرير عن الحفائر بكينج مريوط نجد أن اليونانيين قد استقروا بهذه المنطقة وكذلك البطالمة وكانوا يشتغلون بالزراعة وأهم زراعتهم كانت هى العنب التى أجبرتهم على إنشاء العديد من مصانع النبيذ الذى كانوا يتاجرون به عن طريق ميناء ماريا ومن هنا نقول إن منطقة كينج مريوط ومنطقة ماريا تكملان بعضهما البعض بحيث نجدهم فى الأولى يقومون بصناعة النبيذ وفى الأخرى يقومون بالإتجار فيه[٢].

وتقع منطقة كينج مريوط إلى الغرب من مدينة الإسكندرية مع بداية الصحراء الغربية وتبعد عن الإسكندرية بحوالى ٤٠ كيلومترا غرباً وكذلك تبعد عن العامرية بحوالى ٥ كيلو مترات وتبعد عن منطقة الهوارية بحوالى ٧ كيلو مترات شرقاء أما المقبرة التى أجريت بها الحفائر فتقع إلى الشرق من منطقة كينج مريوط بحوالى ثلاثة كيلومترات التى بدأ العمل بها يوم ١٩٨٢/٢/٢٧م[٣].

---

(1) Ibid., P. 38.

(٢) أحمد محمود الشار، ١٩٨٢، تقرير حفائر كينج مريوط، ص ٣.

(٣) المرجع السابق، ص ١.

ويرى الباحث أن هذه المنطقة شهدت نوعاً من التوسع التجارى وخصوصاً عن طريق ميناء ماريا حينما استقر بها اليونانيون والبطالمة بحيث استعملت بعد ذلك فى أوائل العصر الرومانى أحسن استعمال حيث ازدهرت بها التجارة وازدادت بها مصانع النبيذ، ومن هنا نجد أن زيادة التوسع التجارى وإقامة المصانع، الذى شهدته هذه المنطقة قد ساعد إلى حد كبير على امتزاج تلك الثقافات التى استقرت بهذه المنطقة وكذلك الثقافة المصرية فى ذلك الوقت.

وقد أوضحت تقارير الحفائر أن مدينة الإسكندرية التى تعتبر أحد الموانئ الهامة فى منطقة البحر المتوسط شهدت أيضا امتزاج الفن المصرى القديم بالفن اليونانى الرومانى كما هو الحال فى مقبرة كوم الشقافة والتى وجدت بها رسومات ذات ألوان زاهية تبين هذا الامتزاج، وهذه الرسومات عبارة عن آلهة مصرية مع بعض الرسومات لزهور ونباتات يرجع تاريخها إلى القرن الثانى الميلادى. وكذلك تعتبر مقابر الشاطبى من أقدم المقابر الأثرية بالإسكندرية حيث يرجع تاريخها إلى النصف الأول من القرن الثالث ق.م. وقد استخدمت فى هذه المقبرة طريقتان للدفن أحدهما طريقة وضع الجثث على السرير الجنائزى كما يتضح فى المقبرة الرئيسية. أما الطريقة الأخرى فهى الدفن فى فتحات وذلك فى باقى الغرف وتعتبر الطريقة الأولى هذه الأقدم. وقد زينت هذه المقبرة بزخارف معمارية عبارة عن أنصاف أعمدة على الطراز الدورى والأيونى بينهما نوافذ وأبواب وهمية[1].

---

(١) تقارير حفائر المتحف الرومانى بالإسكندرية، ١٩٨١، ص ١ -٢.

وقد امتزج الفن المصرى القديم - متمثلا فى أسلوب الرسم السكندرى - بالفن اليونانى كما أوضحت الدراسة التى قام بها «بوتى» مدير المتحف اليونانى الرومانى فى عام ١٩٠١ عندما قام باكتشاف مقبرتين في منطقة الأنفوشى والمعروفتين برقم ١، ورقم ٢٠، وقد قام بعده «بريتشا» فى عام ١٩٢٠ باكتشاف المقابر المعروفة برقم ٣ - ورقم ٦[١].

ومن الآثار الهامة التي تشير بوضوح إلى امتزاج فن العمارة المصرى القديم بالفن اليونانى هو اكتشاف مقابر مصطفى باشا بطريق الصدفة فى عام ٣٣ - ١٩٣٤. حينما اكتشفها مدير المتحف اليونانى الرومانى فى ذلك الوقت الدكتور أشيل أوريانى واتضح له أن هذه المقبرة تشير بوضوح إلى فن العمارة اليونانية وبالذات استخدام النظام الدورى فى العمارة السكندرى[٢].

ويرى الباحث أنه من خلال تقارير الحفائر التى توفر عليها يمكننا أن نحاول إعادة رسم صورة لما كانت عليه الصلات الثقافية بين مصر وبعض دول البحر المتوسط كاليونان مثلا والتى تتضح لنا من تاريخ السجل الحفرى لهذه المنطقة. حيث إن إعادة رسم تلك الصورة يساعدنا كثيراً الآن فى دراسة أنماط الثقافة المادية التى خلفتها لنا تلك المنطقة والتى تمكن الباحثين من تسجيل تاريخ الثقافة لهذه المنطقة باعتبارها تمثل منطقة ثقافية فرعية داخل إطار منطقة البحر المتوسط الثقافية.

---

(١) المرجع السابق، ص ٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٦.

وعلى الشاطئ الجنوبى الغربى من الإسكندرية على مسافة خمسة أميال من محطة بهيج على خط مريوط تقع مدينة أبو صير «تابوزيرمس ماجنا» القديمة والأثر الوحيد الموجود فى هذه المدينة هو المعبد الذى يرجح أنه كان فى الأصل مخصصاً لأزوريس[1].

وعلى مسافة سبعة أميال ونصف شمال شرقى دسوق تقع آثار تل الفراعين التى تضم بقايا «بوتو» تلك المدينة القديمة التى خلفت «نجدت» باعتبارها عاصمة للوجه البحرى تحت حكم ملوك النحلة أو الدبور.

وعلى بعد أربعة أميال غربى السكة الحديد. وعلى مسافة تقرب من عشرة أميال من دمنهور تقع قرية «النبيرة»[2] التى تقوم إلى جوار الفرع الكانوبى القديم للنيل وعلى مقربة منها توجد الأكوام التى تغطى موقع المدينة الإغريقية الشهيرة «نقراطيس»[3].

وطبقا لما ذكره هيرودت فإن نقراطيس قد أسسها الملك أحمس الثانى (من الأسرة ٢٦) لتكون موطناً خاصاً للإغريق فى مصر وقد منح أحمس امتيازات كبيرة للمستعمرات ومنع دخول تجارة الإغريق فى أى ميناء آخر فى الدلتا بحيث إذا وصل رجل إلى مصب آخر للنيل كان عليه أن يقسم بأنه «قد حضر إلى هناك ضد رغبته». وبعد أن يقسم عليه أن يبحر فى نفس

---

(1) Baiki, James 1932, Egyptian Antiquities in the Nile Valley, pp. 38.

(٢) يوجد بمتحف القاهرة مجموعة مكونة من ثلاثة رؤوس ربما كانت جزءا من قواعد للتماثيل، إذ أنها كانت تثبت فى الجدران، وقد وجدت فى دمنهور.

(3) William, D.E., Coulson and Albert L., 1981. Cities of the Delta, Part I., Noukratics, p. 45.

المركب إلى المصب الكانوبى وإذا منعته الرياح المضادة من إتمام ذلك يرغم على أن يفرغ حمولته ويحملها على صنادل حول الدلتا حتى يصل إلى نقراطيس وهكذا كانت عظمة الامتيازات التى اختصت مدينة نقراطيس.

وقد كشف «فلندرز بترى» Flinders Petrie جزءا من هذه المدينة عام ١٨٨٤ وقد أضافت كشوف تالية إلى معلوماتنا عن المدينة الإغريقية بحيث إنها عدلت انطباعات المكتشفين الأوائل من وجوه أخرى(١).

ولقد كشف كتاب «بترى» عن نقراطيس – وهو جزءان – سر هذه المدينة تماماً. وقد أظهرت الحفائر أن هيرودوت قد أخطأ بعض الشئ بإسناد أول إقامة للإغريق فى نقراطيس إلى أحمس، فقد دلت الشواهد على أن إنشاء المستعمرة الإغريقية يرجع إلى «أبسماتيك» أول مؤسس للأسرة السادسة والعشرين وهو يدين إلى معونة الجنود المرتزقة الأيونيين والكاريبيين فى جلوسه على العرش لذلك فلقد أسكنهم فى القاعدتين الحربيتين : نقراطيس على الجانب الغرب من الدلتا، ودفنه «تحفنحيس» على الجانب الشرقى منها. ويبدو أن عمل أحمس الذى أشار إليه هيرودوت كان يهدف إلى حصر التجارة الإغريقية فى مصر فى مركز واحد. كما كانت التجارة الأوروبية مع الصين محصورة مع موانى حددتها المعاهدات(٢).

وفى الوقت الحاضر نجد أن نقراطيس مثل غيرها من مناطق الدلتا الأخرى ليس بها ما يلفت نظر الزائر ومع ذلك فإن الباحث يرى أنه من

---

(1) Ibid., p. 46.

(2) Ibid., P. 52.

الممكن إثارة التخمين الظنى – ولكنه ليس كمنهج التخمين الظنى الذى اتبعه علماء الأنثروبولوجيا فى القرن التاسع عشر – ولكننا سوف نقوم باستخدامه بناء على نتائج تقارير الحفائر والسجلات الحفرية التى تعطينا صورة عن هذه المنطقة تكون بمثابة المادة الإثنوجرافية التى يقوم الباحث بتحليلها ليصل من خلالها إلى نتائج تكون أقرب إلى الصدق إلى حد بعيد. لذلك فمن الممكن إثارة التخمين الظنى عن هذا الموقع الذى اتصل فيه الاغريق بمصر اتصالا فعليا لأول مرة، وبذلك يعتبر الباحث أن منطقة نقراطيس باعتبارها مدينة إغريقية وميناء هاماً كانت مكان التقاء بين العلم القديم والجديد[1].

سادسا : الاتصالات الثقافية بين مصر وغيرها فى عصور ما قبل التاريخ :

تعتبر مرحلة العصر الحجرى الحديث من أخطر مراحل الإنسانية، لأنها تمثل نقلة هامة وحاسمة فى حياة الإنسان وهى النقلة من الجمع والالتقاط وعدم الاستقرار إلى مرحلة الإنتاج والاستقرار المادى والفكرى لأول مرة فى حياة الإنسان[2].

---

(١) توجد أثار عديدة بمتحف القاهرة عن مدينة نقراطيس منها لوح من الجرانيت الأسود عليه نقوش نقلة من عهد «نقاطنيبو» المؤسس الأول للأسرة الثلاثين كما توجد أيضا تماثيل ومعلة من العهد اليونانى والرومانى لهذه المنطقة.

(٢) رشيد الناضورى : ١٩٨١، المغرب الكبير، العصور القديمة، أسسها التاريخية والحضارية والسياسية، ١٢٣.

وقد تبين من البحث الدقيق لتراث الإنسانية أولوية منطقة الشرق الأدنى القديم وبصفة خاصة مصر والعراق وفلسطين فى التوصل إلى مرحلة إنتاج الطعام والزراعة والاستقرار لأول مرة فى تاريخ الإنسان، وذلك لأسباب كثيرة يعتبر العامل البيئى بظروفه الخاصة من أهمها على الإطلاق.

وقد عثر فى هذه المنطقة على المواقع الأثرية الدالة على إنتاج الطعام مثل مرمدة بنى سلامة وقرى الفيوم (أ) وحلوان العمرى ودير تاسا فى مصر(١).

وقد تطورت حياة الإنسان تطوراً فى المجالات المادية والفكرية نتيجة تحكمه فى البيئة وفهمه الصادق للمقومات البيئية وربط حياته بمختلف مجالاتها بهذه الظواهر البيئية التى خلفت لديه الوعى والإدراك لتفهم الحياة الزراعية بدلا من اعتماده على الثمار البرية فى مرحلة جمع الطعام.

ففى منطقة الجبل الأخضر فى إقليم برقة عثر فى موقع «هوافتيح» على آثار هذه المرحلة الحضارية مثل الأوانى الفخارية. ويعتبر الفخار من أهم الأدلة الأثرية التى تثبت توصل الإنسان إلى مرحلة الاستقرار والزراعة والإنتاج. وبذلك نجد أن الإنسان المستقر شعر بحاجته الماسة إلى تخزين طعامه وشرابه وقد نجح فى التأقلم مع البيئة واستغلالها إلى أبعد الحدود فشكل بذلك من الطين أوانى مختلفة الأحجام لتحقيق وظائف التخزين وبذلك نجد أن الفخار صنع لأول مرة فى حياة الإنسان فى العصر الحجرى الحديث(٢).

---

(١) المرجع السابق، ص ١٢٤.

(٢) المرجع السابق، ص ١٢٥.

وقد أوضحت دراسة قام بها مصطفى كمال عبد العليم عن تاريخ ليبيا القديم أنه في مرحلة العصر الحجرى الحديث كانت تستخدم الأوانى الفخارية فى تخزين الطعام فى منطقة برقة كما كانت تستخدم فى مصر مما يدل على اتصال الفن المصرى القديم بالفن الليبى وامتزجت بذلك الحضارة المصرية بالحضارة الليبية فى ذلك الوقت وكانت من العوامل البيئية من أهم تلك الأسباب[1].

ويلاحظ الباحث وجود مؤثرات حضارية مصرية واضحة فى هذه الآثار الليبية. فهناك وجه شبه كبير بين فخار الفيوم (أ) وبين فخار موقع «هوافتيح» فى منطقة الجبل الأخضر بإقليم برقة ويظهر ذلك فى الصناعات الحجرية مثل رؤوس السهام. هذا ولم يعثر على جنور سابقة لهذه الصناعات فى المواقع الليبية مما يؤكد وجود المؤثرات الحضارية المصرية، وهنا ينبغى الإشارة إلى أن حضارة الفيوم (أ) تعتبر من أقدم مراحل العصر الحجرى الحديث فى مصر فهى ترجع إلى منتصف الألف السادسة ق.م.[2].

ومما يؤكد وجود خط سير واتصال حضارى بين منطقة شرق ليبيا ووادى النيل الأدنى تلك الصلات الحضارية بينها وبين مواقع سيوة والواحات الخارجية وغيرها من مواقع الصحراء الغربية وبصفة خاصة منطقة الفيوم فى المرحلة المبكرة لاستقرار الإنسان[3]. وهناك اتجاه إلى

---

(١) مصطفى كمال عبد العليم، ١٩٦٩، دراسات فى تاريخ ليبيا القديم، ص٩.

(٢) رشيد التاغورى، المرجع قبل السابق، ص ١٢٧.

(٣) المرجع السابق ص ١٢٨.

الاعتقاد بأن الجذور الأولى لحضارة الإنسان فى مرحلة العصر الحجرى فى شمال أفريقيا بوجه عام ترجع فى الحقيقة إلى جهود الإنسان فى منطقة الصحراء الكبرى.

ويرى الباحث بناءً على ما تقدم أنه يمكن تفسير وجود الصلات الحضارية السابقة الذكر بين حضارة الفيوم (أ) وبين حضارة الإنسان فى منطقة شرق ليبيا على أساس إمكانية انتماء كلتا الحضارتين أصلا إلى جذور وتقاليد حضارية واحدة داخل نفس المنطقة (انظر شكل رقم ٥٣ لتوضيح تلك الصلات الحضارية).

ومع بداية الانتقال للعصر الحجرى الحديث اضطر الإنسان فى هذه المنطقة الصحراوية إلى الرحيل نحو الأودية والمناطق التى يجد فيها مأكله ومشربه، واتجهت مجموعات من إنسان هذا العصر نحو الشمال، نحو برقة وتونس وبعضها اتجه نحو الشرق للواحات المصرية وبحيرة قارون ووادى النيل الأدنى[١].

---

(١) المرجع السابق، ص ١٢٨.

(شكل ٥٣)

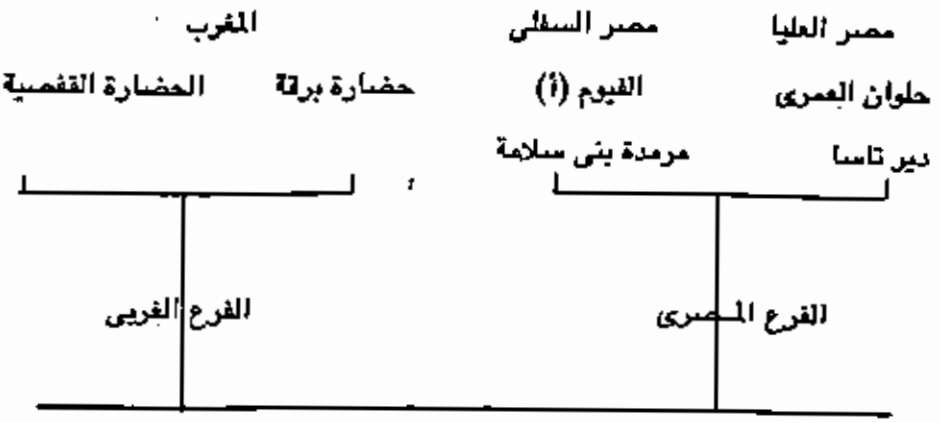

يبين هذا الرسم انتماء بعض حضارات مصر والمغرب وليبيا إلى جذور مشتركة في منطقة الصحراء الكبرى[١].

ملحوظة :

يوضح شكل (٥٣) التأثيرات الحضارية المصرية والأوربية والليبية والقفصية وغيرها. وهى بذلك تبين مدى التأثير والتأثر الحضارى بين مصر وليبيا «إقليم برقة» وهى كلها تقع داخل منطقة البحر المتوسط الثقافية.

ولاشك أن تحركات البربر قد ساعدت أيضا على دعم الصلات الحضارية بين مختلف المواقع الأثرية فى هذه المرحلة إلى حد كبير[٢].

---

(١) المرجع السابق، ص ١٣٧.

(٢) المرجع السابق، ص ١٣٧.

وينبغى الإشارة إلى أهمية هذا العنصر فى تكوين جانب هام من الجوانب البشرية فى الحضارات المصرية القديمة والليبية والمغربية. ولا يقتصر ذلك على الجانب الحضارى بل يتضمن الجانب اللغوى، ولا تزال بعض القبائل البربرية التى تعربت تقطن الصحراء الكبرى وبصفة خاصة فى الجزائر والمغرب ويسمى البربر أنفسهم «الأمازيغ» أى «الأحرار»(١).

لذلك فإن الإنسان بالرغم من تطوره وتقدمه الحضارى بالمقارنة بالمراحل السابقة الطويلة أثناء العصر الحجرى القديم فهو لا يزال يبحث عن الأمان والأطمئنان لحياته ومستقبله. وتشمل المجموعة الشمالية من القوقازيين فى إفريقيا الجماعات التى تتكلم الحامية فى برقة وطرابلس وتونس والجزائر والمغرب، وتعرف اللغة الحامية فى هذه المنطقة باسم لغة البربر Libyco Berber، كما يتحدث بهذه اللغة أيضا الطوارق والتيبو فى الصحراء الكبرى وجماعات الجوانش Guanches فى جزر الكناريا(٢).

ويعد البربر من أقدم السلالات المعمرة فى شمال أفريقيا، إذ كثيرا ما تظهر بينهم صفات إنسان أفالو Afalou القديم الذى يرجع إلى العصر الحجرى القديم الأعلى، هذا من جهة كما تظهر أيضا بينهم صفات طراز البحر الأبيض المتوسط الذى ترجع حضارته إلى العصر الحجرى الحديث(٣).

---

(١) المرجع السابق، ص ١٣٨.

(٢) يسرى الجوهرى، ١٩٦٩، السلالات البشرية، ص ٣٦٩.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٦٩.

وهناك بعض الرسوم التى تسترعى انتباه الباحث مثل رسوم الكباش التى تحمل فوق رؤوسها رموزاً بيضاوية الشكل التى فى بعض الأحيان يوجد أمامها رجل يتميز بوجود خصلة شعر جانبية فى رأسه، كما يرتدى قميصاً وحزاماً عريضاً[١].

وهناك إمكانية وجود شبه بين هذه الكباش والكبش المصرى فى العصر الفرعونى والذى يحمل على رأسه رمز الشمس ويمثل الإله آمون رع فى الديانة المصرية.

وقد عثر على هذه الرسوم جنوبى وهران وفى برقة مما يلفت النظر إلى أن موضوع خصلة الشعر الجانبية التى تمثل الإنسان السابق ذكره قد ذكرتها النصوص المصرية القديمة باعتبارها تميز بعض الكهنة المصريين وقد ذكر ذلك بصفة خاصة فى نصوص التوابيت فى الدولة الوسطى[٢].

وهناك رسوم أخرى تمثل بعض الشخصيات التى تشبه إلى حد كبير الإله المصرى (بس) ، هذا بالإضافة إلى رسم رجل ترك ذقنه بشكل يذكر الباحث بطريقة رسم الإله أوزير المصرى. وقد عثر على هذه الرسوم جنوب طرابلس. وتتوزع هذه الرسوم فى الفترة الممتدة من حوالى الألف الثالث حتى حوالى الألف الأول ق.م.

---

(١) رشيد الناضورى ، ١٩٨١، المغرب الكبير، العصور القديمة أسسها الحضارية والسياسية، ص١٣٩.

(٢) المرجع السابق، ص ١٣٩.

ومن الواضح أن هذه الفترة تقابل فترات هامة فى صميم العصر التاريخى المصرى القديم مما يؤكد أن هذه الرسوم قد تعبر عن أفكار حضارية متأثرة بالحضارة المصرية القديمة ويعتبر ذلك استمراراً للصلات الحضارية بين مصر وشرق ليبيا (برقة) ومنطقة شرق البحر المتوسط. وأيضا بين مصر والمغرب من جهة أخرى، لكن الذى يهمنا هو ذلك التأثير الحضارى الواضح بين مصر وليبيا وشرقى البحر المتوسط (بصفة خاصة اليونان وكريت) التى تمثل منطقة ثقافية واحدة ذات طابع حضارى وتاريخى مميز فى منطقة البحر المتوسط. وعلى ذلك فإن تلك الأدلة المادية الأثرية تبين لنا بوضح مدى تفرد هذه المنطقة عن غيرها بمميزات ثقافية وحضارية أدت فيها العوامل السياسية والاقتصادية دوراً هاماً فى صبغها بصبغة ثقافية واحدة، ظهرت فى بعض العادات والتقاليد الموروثة وبعض مفردات اللغة. وعادات اللعب عند الأطفال وطريقة الأمهات فى تربية أطفالهن، كذلك ظهرت فى بعض العادات الغذائية وغيرها.

ويرى الباحث أن الاتصالات التجارية كانت تعتبر أولى هذه الاتصالات التى ساعدت على ذلك بوضوح فى التاريخ القديم، وكانت لها الفاعلية والقوة بحيث أنها فرضت نفسها على كل أنواع النشاطات الأخرى، وأخذت الرحلات التجارية بين مصر واليونان وغيرها من دول شرقى البحر المتوسط فى ذلك الوقت تؤثر وتتأثر بعادات وثقافة المجتمع التى تنزل به، وبالتالى كانت من أوضح عوامل الاتصال فى تلك المنطقة. وجاءت بعدها الصلات والاتصالات العسكرية والسياسية التى نتج عنها فى بعض الأوقات الاحتلال العثمانى مثلا والذى فرض نفسه على غالبية دول المنطقة، وكان له تأثيره فى

عادات وتقاليد ونظم الزواج واللغة وكذلك بعض الأنماط الثقافية الأخرى.

ونعود مرة أخرى لمرحلة العصر الحجرى الحديث لنلقى الضوء على فكرة الاتصالات الحضارية بين مصر وليبيا فى تلك الفترة بالذات، فهى الفترة التى توضح الصلات القوية بينهما، والتى نتوصل إليها عن طريق الرسومات والنقوش والآثار المصرية والليبية القديمة. ففى العصر الحجرى الحديث خرج من الحوض الشرقى للبحر المتوسط - فى فترة متأخرة - جماعات تتحدث لغة البربر التى لا يزال يتحدث بها فى الوقت الحاضر كثير من سكان شمال أفريقيا. هذه الجماعات كانت تمثل فرعاً من سلالة البحر الأبيض المتوسط الذى حمل معه معرفة الزراعة واستئناس الحيوان[1].

ويطلق المؤرخون على سكان شمال أفريقيا غرب مصر اسم «الليبيين» وأفضل الأمثلة لهم جماعات البربر التى تقطن التلال فى الجزائر، وقبائل «الشاوية» فى مرتفعات الأوراس. وتصور النقوش المصرية القديمة (حوالى ٢٥٠٠ ق.م.) الليبيين باللون الأصفر، وتبينهم شقر الشعر، زرق العيون، ذوى لحية شقراء، وقد استمر هذا التقليد خاصاً يصور الليبيين فى العصور المتأخرة بعد ذلك، فظهرت بذلك على جدران معابد طيبة التى ترجع إلى ١٢٠٠ ق.م. كما أشار إليها اليونانيون فى القرن الرابع ق.م. ومن الملاحظ وجود صفات الشقرة حتى الوقت الحاضر بين البربر الحديثين[2]. وقد كانت هذه الجماعات الليبية القديمة تنتشر فى مساحات واسعة، وكثيرا ما كانت

(١) يسرى الجوهرى، ١٩٦٩، السلالات البشرية، ص ٢٦٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٧٠.

حدودهم تصل إلى مصر، إذ أن التاريخ القديم يحدثنا عن جماعات «التحنو» أو الليبى Lebu الذين كانوا يغيرون على غرب الدلتا من آن لآخر[١] (*).

أما عن أصل الليبيين، فمن الناحية اللغوية ينتمون إلى الحاميين، كما أنهم من الناحية السلالية يشبهون جيرانهم المصريين وغيرهم من الشعوب التابعة للفرع الشرقى من الحاميين[٢].

وعلى أية حال فمن الصعب أن نضع حداً حضارياً أو جنسياً واضح المعالم بين الجماعات التى تتكلم العربية والجماعات التى تتكلم البربرية، ذلك لأن الحاميين والساميين ينتمون إلى سلالة واحدة هى سلالة البحر الأبيض المتوسط.

هذا وينتمى المصريون القدماء الذين عاشوا منذ عهد ما قبل الأسرات فى العصر الحجرى الحديث (٣٠٠٠ ق.م.) إلى مجموعات الحاميين الشرقيين الذين ينتمون إلى سلالات البحر المتوسط ذات القامة النحيفة المتوسطة، والرأس الطويل، والجبهة الضيقة، والوجه الطويل الضيق والشعر الأسود أو الأسمر القاتم[٣].

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٧١.

(*) يوجد بالمتحف المصرى بالقاهرة، ضمن حفائر البعثة الفرنسية بإشراف أ. مرنتيه، عام ١٩٤٠، حفائر تانيس (صان الحجر)، تمثال الملك شيشنق الليبى حين غزا مصر واستقر بمنطقة غرب الدلتا.

(٢) نفس المرجع السابق، والصفحة.

(٣) يسرى الجوهرى، المرجع السابق، ص ٣٨٣.

ويمثل المصريون الحاليون (المعاصرون) خليطاً من السلالات القديمة لوادى النيل مع العرب النازحين منذ الفتح الإسلامى فى القرن السابع الميلادى، وهم الآن يتكلمون اللغة العربية، ويدينون بالدين الإسلامى ، مع وجود الأقباط الذين يمثلون عنصراً كان موجوداً قبل العرب Pre-Arabic Element .

وعندما نحاول أن نتعرف على أصل الشعب المصرى القديم فإن أول ما نواجهه هو ذلك الخليط من الشعوب المختلفة التى يرجع عهدها إلى ما قبل التاريخ(١). حيث كانت – فى ذلك الوقت – هناك علاقة بين سكان مصر القدماء والليبيين Libyans – أو كما كان يطلق عليهم قديماً – الأفارقة الشماليين North Africans من ناحية وبين الشعوب الموجودة فى شرق أفريقيا والمعروفين الآن كالجالا Galla والصوماليين Somali والبجة Bega وبعض القبائل الأخرى (٢).

وعندما نأتى إلى عصر الأسرات الذى تميزت فيه مصر بوجود أقدم التماثيل التاريخية فى العالم فإنه – كما يقول فلندرزبترى(٣).Flinders Petrie :

---

(١) أولف أرمان ، هرمان رانكة، بدون سنة نشر، مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ، ومحرم كمال ص ١٢١.

(2) Breasted, James, Henry, 1910, A History of Ancient Egyptians, P. 29.

(3) Petrie , W.M., Flinders, 1920, Religion and Conscence in Ancient Egypt, P. 11.

ويمكننا من خلال تلك التماثيل وبصفة خاصة فى الأسرة الرابعة IV th Dynasty أن نحدد أربعة نماذج متميزة من السلالات التى شكلت معاً شعب مصر، ويمكن إجمال هذه النماذج فيما يلى :

١- النموذج الزنجى Negro وهو أقدم النماذج التى ظهرت فى مصر. كما يذهب فى ذلك روبتر دى رستا فيجل Robert de Rustafi-jaell إلى أن سكان مصر الأصليين هم أساساً من السلالة الزنجية[١]. Negroid Race.

٢- النموذج الليبى Libyan وهم أبيض من الزنوج. ويفسر ظهور هذا النموذج بحدوث غزوات على مر التاريخ من الغرب استمرت عدة قرون. وقد امتزج الزنوج بتلك السلالات المائلة للبياض Fairy Races والتى كانت تقطن حدودهم الشمالية[٢].

٣- نموذج بلاد ما بين النهرين - العراق Mesopetamian وهم يمثلون الطبقة العليا من الشعب وتشبه رؤوسهم الرؤوس المرسومة والموجودة فى تل «لو» Tel Lo وهناك آثار كثيرة تركها هذا النموذج تدل على حدوث هجرة من بلاد ما بين النهرين إلى مصر[٣].

---

(1) De Rustagijaell, R., 1909, The Light of Egypt : From Recently Discovered Predynastic and Early Christian Records, Kegan Paul Trench, Trubner & Co., Lid., London, P. 16.

(2) Op. Cit., P. 11.

(3) Op. Cit., P. 11.

وإذا أخذنا بقول فلندرزبترى Petrie[1]. «أن أى سلالة مهزومة تأخذ فى تشكيل غزاتها بطابعها بعد عدة قرون من الاندماج»، فإن ذلك يبدو واضحا فى تشكيل الشعب المصرى لغزاته، حيث توالت الهجرات والغزوات على مصر. ففى العصر اليونانى والرومانى جاء إلى الدلتا كثير من اليونانيين واليهود الذين استقروا فى مدينة الإسكندرية التى أسسها الإسكندر عام ٣٣٢ ق.م. كذلك استقروا فى مدن الدلتا الرئيسية الأخرى، وقد استقرت هذه الجماعات وانصهرت كلها فى الشعب المصرى بعد أن تركت بعض الصفات مثل لون العينين ولون البشرة وكذلك صفات الشقرة الخفيفة بين المصريين.

هذا وقد سبق أن وفد إلى مصر فى الألف الثانية ق.م. هجرة يهودية من فلسطين استقرت فى أرض جيوش بالشرقية[2].

ولم يقتصر الأمر على هذا فقط بل تأثر المصريون فى هذه المنطقة ببعض الهجرات العربية السامية ، غير أن هذه المؤثرات لم تحدث تغييراً جوهريا فى التكوين الجنسى للمصريين حيث إن كل الجماعات الوافدة كانت تنتمى إلى سلالة البحر المتوسط الطويلة الرأس، أو للسلالة الأناضولية العريضة الرأس، إلا أن ثمة اختلاطاً طفيفاً قد حدث بين المصريين وبين بعض العناصر الزنجية التى تتاخم حدود مصر الجنوبية، وقد زاد من هذه المؤثرات قوة بعض عناصر الرقيق التى أدخلت العناصر الزنجية فى تكوين بعض المصريين، ونتج عن ذلك وجود بعض أفراد من الشعب شعرهم مفلفل أو شديد التجعيد وشفاهم مكتنزة.

---

(1) Op. Cit., P. 10.

(٢) يسرى الجوهرى ، ١٩٦٩، السلالات البشرية.

أولا : المراجع العربية :

(١) إبراهيم رزقانة، عبد المنعم أبو بكر وآخرون، بدون سنة نشر، حضارة مصر والشرق القديم، مكتبة مصر، الفجالة – القاهرة.

(٢) أحمد أبو زيد، ١٩٥٧، تايلور : مجموعة نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف.

(٣) أحمد أبو زيد، ١٩٦٥، القيم والبناء الاجتماعي في دول البحر الأبيض، مجلة السياسة الدولية ، العدد الأول ، مؤسسة الأهرام.

(٤) أحمد الخشاب، ١٩٧٠، دراسات أنثروبولوجية، دار المعارف، القاهرة.

(٥) ادوارد لين ، ١٩٧٥، المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم، ترجمة عدلي طاهر نور، الطبعة الثانية، دار النشر للجامعات المصرية – القاهرة.

(٦) ألولف أرمان، هرمان رانكة، ١٩٥٠، مصر والحياة المصرية في العصور القديمة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر، القاهرة.

(٧) السيد عبد العاطي السيد، ١٩٨١، الأيكولوجيا الاجتماعية، مدخل لدراسة الإنسان والبيئة والمجتمع، دار بورسعيد للطباعة والنشر.

(٨) فاروق مصطفى إسماعيل، ١٩٨٠، الأنثروبولوجيا الثقافية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية.

(٩) فتحي أبو عيانة، ١٩٧٠، سكان الإسكندرية، دراسة جغرافية وديموجرافية، رسالة دكتوراه.

(١٠) محمد محمد الصياد، ١٩٥٥، موقع ومناخ غرب الدلتا، مجلة كلية الآداب، القاهرة.

(١١) محمد عاطف غيث، ١٩٧٧، دراسة في المجتمع القروي المصري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

(١٢) محمد عاطف غيث، ١٩٧٩، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

(١٣) محمد عباس إبراهيم، ١٩٨٥، الشقافات الفرعية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.

(١٤) محمد عبده محجوب، ١٩٧٧، مقدمة فى الاتجاه السوسيو أنثروبولوجى، الهيئة المصرية العامة لكتاب، الإسكندرية.

(١٥) مصطفى العبادى، ١٩٧٥، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى، مكتبة الأنجلو المصرية.

(١٦) ممدوح درويش، ١٩٨٣، الموانى المصرية والنشاط التجارى فى عصر البطالمة، رسالة ماجستير غير منشورة.

(١٧) رشيد سالم الناضورى، ١٩٨١، المغرب الكبير: العصور القديمة أسسها التاريخية الحضارية والسياسة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

(١٨) نادية أحمد محمد ، ١٩٨٣، مناهج وإجراءات البحث الأركيولوجى وعلاقتها بفروع الأنثروبولوجيا، دراسة ماجستير غير منشورة.

(١٩) يسرى الجوهرى، ١٩٦٩، السلالات البشرية، دار الطلبة العرب، بيروت

ثانيا: تقارير علمية:

(١) أحمد محمود النشار، ١٩٨٢، تقرير حفائر كنج مريوط، تفتيش آثار غرب الدلتا، الإسكندرية.

(٢) تقارير حفائر المتحف الرومانى، ١٩٨١، المتحف اليونانى الرومانى بالإسكندرية.

ثالثا : المرجع الأجنبية:

(1) Atlas of Egypt : Comprising Maps of the Cultivated Area Between the Mediterranean Sea and Cairo, Volume I. National Printing Department, Cairo, 1912.

(2) Baikie, J., 1932, Egyptian Antiquities in the Nile Valley , A Discriptive Handbook.

(3) Bidney, D., 1953, Theoritical Anthropology, New York, Columbia University Press.

(4) Breasted, James, Henry, 1910, A History of Ancient Egyptians,Smith Elder & Co., London.

(5) Chester S., Chard, 1975, Man in Prehistory, McGraw-Hill, Inc., U.S.A.

(6) Coulson D. E. William and Aibert Leonard, Jr. 1981, Cities of the Delta, Naukraties, Part I, Undeno, Undeno Publications, Malibu.

(7) Daniel, R., Gross, 1973, Peoples and Cultures of Native South America . The American Museum of Natural History, N.Y.

(8) David, Wilson, 1974, The New Archaeology, New American Library, Inc., New York.

(9) Dean, Snow, 1976, The American Indias, Their Archaeology and Prehistory, Thoms and Hudson Ltd., London.

(10) De Rustagijaell, R., 1909, The Light of Egypt : From Recently Discovered Predynastic and Early Christian Records, Kegan Paul Trench, Trubner & Co., Lid., London.

(11) James , Deetz, 1967, Invitation to Archaeology, The American Musuem of National History, New York, Press.,

(12) Jermey Boissevain; 1979, Toward a Social Anthropology of the Mediterranean, In C.A.Vol., 20, No. 1 March.

(13) John, Davis, 1977, People of the Mediternean : An Essy in Compartive Social Anthropology, Routlge & Kegan Paul, London.

(14) John, L. Myres, Mediterranean Culture, Cambridge University Press, 1944.

(15) Kroeber, Alfered L., 1939, Cultural and Natural Areas of Native North America, Univ., of Califonia Press.

(16) Oric, Bates, 1917, The Eastern Libyans, Macmillan and Co., Limited, London.

(17) Petrie, W., M., Flinders, 1888, Naukraties : The Memory of the Egypt explaration Fund, Part I.

(18) ----------,1920, Religion and Conscence in Ancient Egypt, Methuen & Co. Ltd., London.

(19) G.Sergi,1901, The Mediterranean Race : A Study of the Origin of Eurapean Peoples, Walter Scott, Patermoster Square, London.

(20) Simth, Marian, W., 1952, Culture Area and Culture Depth : With data from the Northwest Coast, N.Y.